غرق التيتانك

يغالب الانسان الطبيعة فيغلبها تارة وتغلبهُ اخرى . وهذا شأنهُ منذ انحصت قامتهُ بل هذا شأن كل الاحياء من حيوان ونبات فانها كلها في جهاد دائم مع نواميس الكون وقوى الطبيعة وفي حرب عوان بين اجناسها وانواعها . وكم من جنس تلاشى ونوع انقرض في ثنايا ازمان الدهر . اسأل طبقات الارض واحافير المتحجرات تنبئك آثارها كما تنبئك رفات المعارك وساحات القتال . ولكن كانت نتيجة هذا الجهاد التدرج من البسيط الى المركب ومن الساذج الى المتقن ومما يكثر فيهِ التبذير الى ما يقل . والانسان سيد المخلوقات لم يبلغ ما بلغ من الارتقاء الاَّ بعد ان توالت عليهِ قرون طوال وهو يقاوم الجذب والدفع والحر والبرد والمطر والقيظ والرياح والانواء وعوادي الامراض واسباب الادواء وكل عوامل الضعف والفناء . واذا تغاضى عن مقاومتها قضي عليهِ . ولم يكن النجاح حليفهُ دائماً بل كثيراً ما آب بالفشل لكنهُ استفاد منهُ كما استفاد من النجاح ولولاهُ ما اتقن وسائل الدفاع ولا احسن الاساليب التي بلغ بها ما بلغ من الراحة والرفاهة

وكثيراً ما يبذل المرءُ اقصى جهدهِ وغاية ما بلغ اليهِ علمهُ وبحثهُ واختبارهُ في عمل من الاعمال ولا يقدَّر لهُ الاَّ النجاح التام فيأتي على خلاف ما انتظر وضد ما توقَّع لان الفواعل الطبيعية كثيرة تفوق الاحصاء ولم تخضع كلها لارادة الانسان ولاسيما الاحداث الجوية المتعلقة بما يطرأ على الشمس من التقلبات السنوية واليومية . فالمطر مع انتظامهِ بانتظام الفصول لا ضابط لوابلهِ ونقصانهِ ووقوعهِ في يوم دون آخر وساعة دون اخرى . وقس على ذلك وقوع البرد والثلج وعصف الرياح والزوابع وثوران الانواء والاعاصير . وتزيد هذه الاحداث شدة حينما تتخذ آلتها البحر المحيط فان المادة سيولة مادتهِ وسرعة حركتهِ ينقاد اليها صاغراً فيعبث بما عليهِ من السفن والبوارج كما تعبث الريح في السيل العرم . وقد حدثت هذا العام رزيئتان من هذا النوع الاولى رزيئة الباخرة دمي التي كاد يغرق بها دوق فيف وزوجتهُ وسائر الركاب والثانية رزيئة الباخرة تيتانك التي اربت على كل رزيئة قبلها لا سيما وانها ليست من الحوادث التي يُعلَم انها تنتاب السفن عادة كالانواء والزوابع

الاَّ ان اهل هذا العصر لا يقفون وقفة التادب الاسيف فيجمجمون عن المشاق ويقولون كما قال الشاعر العربي

البحر صعب المرام جدًّا لا جُملتْ حاجتي اليهِ

أليس ماء وبحر طين فما عسى صنعنا عليه

ولا يجلدونهُ بالسوط انتقاماً وتأديباً كما فعل زركسيس المادي لما اتلف ماء الدردنيل الجسر الذي نصبهُ عليهِ . بل يقتشون عن سبيل يمنعون بهِ الضرر ويتلافون الخطر ولذلك قامت قيامتهم الآن حتى يستفيدوا من هذه الرزية ما يمنع الوقوع في مثلها. واذ قد تمهد ذلك نذكر خلاصة ما وصلنا الى الآن عن هذه الباخرة وفاجعتها وما يُعلَّل من امر جبال الجليد التي قضت عليها

الباخرة تيتانك

في اكبر البواخر التي خاضت عباب البحر حتى الآن وافخرها وهي لشركة النجم الابيض (هويت ستار) الانكليزية طولها ٨٨٣ قدماً وعرضها ٩٣ قدماً وتفريغها ٤٦٣٢٨ طناً وتسع ٣٠٠ راكب في الدرجة الاول و٣٣٠ راكباً في الدرجة الثانية و٧٠٠ راكب في الثالثة وفيها من معدات الراحة والرفاهة ما يجعل السفر فيها نزهة من التزه . وبدانيها من البواخر الكبيرة الاولمبك وهي لشركة النجم الابيض ايضاً وطولها ٨٥٢ قدماً وتفريغها ٤٥٠٠٠ طن والموريتانيا لشركة كنرد وطولها ٧٦٢ قدماً وتفريغها ٣١٩٣٨ طناً ولوزيتانيا لشركة كنرد ايضاً وطولها ٧٦٢ قدماً وتفريغها ٣١٥٥٠ طناً . وتبقى الآن باخرة اكبر منها لشركة كنرد اسمها اكويتانيا طولها ٩٠٠ قدم وتفريغها ٥٠٠٠٠ طن وباخرة اخرى لشركة هيرج اميركان اسمها امبراطور طولها ٩٠٠ قدم وتفريغها ٥٠٠٠٠ طن . وكان المقدَّر للتيتانك انها لا تغرق ابداً مهما اشتدت الانواء واعتراها من النوائب ولكنها لما اصطدمت بجبل الجليد ذهبت اتعاب المهندسين والصناع هباءً منثوراً . ولولا تلغراف مركوني ما نجا احد من الذين كانوا فيها لكن آلات هذا التلغراف التي كانت فيها تصل اشاراتها نهاراً الى دائرة قطرها الف ميل وليلاً الى دائرة قطرها ثلاثة آلاف ميل فلما شعر الربان بالصدمة امر العامل بتلغراف مركوني ان يستنجد بالبواخر المنحرة حولهم فارسل اشارات برقية يقول فيها «صدمنا جبلاً من الجليد ونحن على ٤١ درجة و٤٦ دقيقة من العرض الشمالي و٥٠ درجة و١٤ دقيقة من الطول الغربي فاسرعوا لنجدتنا لان الضرر الذي اصابنا كبير جداً» . وكان ذلك في الساعة العاشرة والدقيقة ٢٥ بعد ظهر الاحد في ١٤ ايرين بعد ان مرَّ على التيتانك اربعة ايام تخر في اليم ذاهبة الى اميركا وركابها كأنهم في موكب او في نزهة . فوصلت هذه الاشارة الى بواخر كثيرة فاسرعت الى محل النكبة وكان اقربها منها الباخرة المسماة كرباثيا كانت على ١٧٠ ميلاً فادركتها عند الفجر واقذت من وجدتهم في القوارب ولكن التيتانك كانت قد غاصت في عمق البحر الساعة الثانية والدقيقة العشرين بعد نصف الليل والذين

بقوا فيها ولم تسعهم القوارب او لم يهتموا بالنزول اليها حاولوا السباحة ولكنهم ماتوا من شدة البرد قبل ان وصلت الكرباثيا اليهم

وقد وصف بعض الذين نجوا ما شعروا به وقت اصطدام التيتانك بجبل الجليد وما تبع ذلك الى حين نجاتهم وخلاصته ان الباخرة كانت جارية بسرعة ٢١ ميلاً بحرياً في الساعة اي نحو ٢٤ ميلاً عادياً وكان الجو صافياً والبحر رهواً ولم يكن ارتفاع الجزء الظاهر من جبل الجليد فوق الماء سوى ستين قدماً او سبعين فلم يرَه الرقيب الا حينما صارت الباخرة على ربع ميل منهُ وصار يستحيل تغيير سيرها لبعد عنهُ قبل ان تصطدم به ولم يكن معهُ تلسكوب ليرهُ قبل ذلك فصدم حرفهُ الغائر في الماء بطن الباخرة الايمن فشقهُ شقاً طويلاً عريضاً ازال ما عليهِ من صفائح النحاس وكسّر الخشب . وذلك امر لا بدَّ منهُ اذا كان جبل الجليد كبيراً جداً لا يتزحزح لكبره وكانت الباخرة سريعة قوية الآلات البخارية كالتيتانك . فللحال دخل الماء مواقد الباخرة فاطفأ نارها او اطفأها الوقادون فوقفت آلاتها عن الحركة . ولم يشعر الركاب بالصدمة الا قليلاً بل شعروا بوقوف حركة الآلات بعد ان القوها بضعة ايام لكنهم لم يضطربوا ولا خطر لهم غرق الباخرة على بال . وعلم الربان بخطارة الامر فامر عاملي تلغراف مركوني بطلب النجدة ونادى المنادي في الباخرة « ليخرج كل الركاب الى الظهر لابسين مناطق النجاة » . وكان ذلك بعد الصدمة بنصف ساعة وجعل البحارة يعدون القوارب الا ان السكينة بقيت سائدة لاعتقاد الركاب ان تلك الباخرة لا يمكن ان تغرق ويقال ان بعض الذين كانوا نائمين واستيقظوا لما وقفت الآلات عادوا الى اسرتهم غير مكترثين للامر

ثم نادى المنادي قائلاً « ليتجه الرجال كلهم وليزل النساء الى الظهر الثاني » . اي حيث يسهل ركوب القوارب فركن كثيرون لقربها وبقي في بعضها امكنة فارغة فنزل فيها بعض الرجال . ولما امتلأت القوارب انزلت القوارب التي تطوى ونزل فيها آخرون فنجا بعضهم ومات البعض الآخر متجمداً من الماء البارد . ثم جعلت الباخرة تميل على جنبها الايمن المتقدم والرجال يثبون ان امكن لابسين مناطق النجاة او حاملين الاطواف ويحاولون الابعاد عن الباخرة لئلا يبتلعهم البحر حينما تغوص فيهِ . ثم غاصت بالذين بقوا عليها وللحال علت الضوضاء لان الذين حاولوا السباحة رأوا من برد الماء ما يزهق الارواح وبلغ بعضهم القوارب وتمسك بها فأُنقذ ولكن الاكثرين هرأهم البرد فماتوا . وكان في الدرجة الاولى من الركاب ١٧٣ رجلاً نجا ٥٨ منهم و١٤٤ امرأة نجت ١٣٩ منهن

و٥ اولاد نجوا كلهم . وفي الدرجة الثانية ١٦٠ رجلاً نجا ١٣ منهم و٩٣ امرأة نجت ٧٨ منهنّ و٢٤ ولداً نجوا كلهم . وفي الدرجة الثالثة ٤٥٤ رجلاً نجا ٥٥ منهم و١٧٩ امرأة نجت ٩٨ منهنّ و٧٦ ولداً نجا ٢٣ منهم . وكان عدد البحارة والمستخدمين ٨٧٥ رجلاً نجا ١٨٩ منهم و٢٣ امرأة نجت ٢١ منهنّ

وقد اظهر ركاب الباخرة من الشهامة والمروّة والايثار ما يخلد للامّة الانكليزية والامّة الاميركية اطيب ذكر في تاريخ العمران كما سيجيء في الجزء التالي

جبال الجليد

اما جبال الجليد فقطع كبيرة تنقدّ من انهر الجليد التي يغطي اراضي الاصقاع القطبية حيثما تصل تلك الانهر الى ماء البحر فتطفو فيه وتسير من ناحيتي القطبين الى جهة خط الاستواء . والجليد اخف من الماء قليلاً كما لا يخفى فتبقى رؤوس تلك القطع طافية فوق سطح الماء كما ترى في هذا الشكل . وقد يبلغ ارتفاعها ٢٠٠ قدم او اكثر الى ٣٠٠ قدم ولكن قد يكون جبل الجليد حاملاً بعض الحجارة والصخور التي تقع عليه وهو جارٍ الى البحر فيزيد بها ثقلهُ النوعي ولا يظهر منهُ شيء فوق سطح الماء . ومهما ظهر منهُ لا يكون اكثر من ثمنهِ او تسعهِ فيبقى الجانب الاكبر منهُ غائصاً في الماء . وتكثر جبال الجليد شمالاً وجنوباً وتجري نحو المنطقة المعتدلة الاّ ان التي تأتي من الاصقاع الجنوبية تبعد اكثر من التي تأتي من الاصقاع الشمالية . ومن المرجح ان هذه الجبال اغرقت سفناً كثيرة من قديم الزمان الى الآن ولكن لم يكن تلغراف مركوني معروفاً ليعلن خبر السفن التي تغرقها الى غيرها كما حدث الآن . ولا بدّ من ان تدعو هذه الكارثة الى تنويع بناء السفن حتى لا تغرق اذا صدمتها جبال الجليد او الى ان يرسل امام كل باخرة كبيرة سفينة صغيرة لتقدمها بضعة اميال ترتاد لها الطريق وتعلمها بالخطر قبل الدنو منهُ